العرب
السبت 2020/09/19
السنة 42 العدد 11825

كورونا قيّد قدرة الصحافيين للوصول إلى مصدر المعلومات

سياسيون استغلوا التباعد الاجتماعي لإبعاد الصحافيين عن مساءلتهم

التباعد الاجتماعي فرض ابتعاد الصحافيين عن مصدر الخبر

أفرز وباء كورونا ظروفا صعبة على الحكومات والشركات ومختلف الجهات، كما قيد وصول الصحافيين إلى المعلومات، وهو ما عرّضهم للرقابة في العديد من البلدان، في إجراء تم تبريره على أنه لمكافحة المعلومات المضللة المرتبطة بالوباء.

نيويورك – قيد فايروس كورونا المستجد قدرة الصحافيين على الوصول إلى العديد من الأحداث والأخبار المهمة، كما أنه شكل فرصة جيدة للجهات الحكومية وكل من يرغب في بناء حائط سد أمام الصحافيين لمنعهم من الوصول إلى المعلومات القيمة، مما أضعف الإعلام المستنزف أساسا.

وساهم الوباء في تراجع أعداد المؤتمرات الصحافية الحضورية وفرض إرسال الأسئلة مسبقًا وفي أحيان كثيرة استحالة طرح الأسئلة أو عدم الرد على الاستفسارات، فأصبح الوصول إلى المعلومة أمرا منهكا للصحافي في حال استطاع الحصول عليها.

ومن الأمثلة على ذلك، قيام الاتحاد الأوروبي لكرة القدم خلال المباريات الدولية بإزالة المناطق المختلطة، حيث كان يسمح للصحافيين بلقاء اللاعبين. وبات كذلك من الصعب مقابلة مصممي الأزياء، مع بدء موسم عروض الأزياء، سواء أقيم العرض بشكل حضوري أم أقيم عن بعد.

ووصفت رولا خلف، رئيسة تحرير صحيفة فايننشيال تايمز، الوضع الصحافي أثناء وباء كورونا بـ"تغيرت غرفة الأخبار في فايننشيال تايمز بين عشية وضحاها من مكتب مزدحم إلى مكان عمل رقمي مشتت. لقد كانت الجائحة اختبارًا لا مثيل له للمنظمات والحكومات في جميع أنحاء العالم ولنا جميعا".

وأضافت "آمل أن تكون فايننشيال تايمز قد اجتازت هذا الاختبار من خلال تقديم الأخبار والبصيرة والتحليل والتحفيز الفكري الذي تحتاجه للتنقل في هذا العالم سريع التغير".

وأكدت أن المحتوى المتميز للصحيفة جعلها تصمد وازداد عدد المشتركين الجدد بعشرات الآلاف منذ مارس، موضحة "لقد كانت هذه الأشهر صعبة بالنسبة لأعمال فايننشيال تايمز، لكننا لا نزال في وضع مالي قوي بفضل ولاء مشتركينا. أثبت نموذج أعمالنا باعتماده القوي على عائدات الاشتراك الرقمي قيمته ومرونته في أوقات الأزمات".

وأمام الظروف التي فرضت على المؤسسات أو الحكومات أو المسؤولين المنتخبين أو الشركات أو الهيئات أو الاتحادات الرياضية أن تتكيف مع القيود الصحية، "بتنا نشهد بانتظام مواقف يستغل فيها الناس وباء كوفيد – 19 لإخفاء المعلومات" بحسب ما قال ديفيد كويلير، أستاذ الإعلام في جامعة أريزونا.

وتشمل محاولات إخفاء المعلومات بالدرجة الأولى البيانات المتعلقة بالوباء نفسه، التي قد تلقي الضوء على سوء إدارة الحكومة أو السلطات المحلية للأزمة الصحية.

فقد رفضت حاكمة كانساس لورا كيلي هذا الأسبوع طلبًا من موقع "كانساس ريفلكتور" الإخباري للحصول على معلومات تتعلق بمتاجر الولاية التي ظهرت فيها بؤرة الإصابات.

ويتحجج البعض بحماية البيانات الشخصية لعدم تقديم معلومات تتعلق بعدد الإصابات في دور المسنين أو الجامعات، وإن كانت النصوص المرعية الإجراء "لا تطبق في هذه الحالة" لأن المعلومات لا تتضمن هويات الأفراد، بحسب كويلير.

> الصحافيون لم يعد لديهم الوقت الكافي للحصول على مصادرهم والتعمق في البيانات العامة، بسبب نقص مزمن في أعدادهم

ورأى كويلير، الرئيس السابق لنقابة الصحافيين "أس بي جاي" الأميركية، أن وكالات حكومية ومجالس بلدية ومنظمات محلية تتخذ قرارات "بمنأى عن أعين المتطفلين".

وفي السياسة، يُتهم المرشح الرئاسي الديمقراطي جو بايدن على الدوام بتفادي وسائل الإعلام بحجة الوباء. ويعزو فريق حملته اقتصار تحركاته على نحو عشرة مراسلين ومصورين فقط إلى الاحتياطات الصحية.

وللإجابة عن الأسئلة، وهو أمر نادر، يقوم مسؤولو الإعلام في حملته بتعيين الصحافيين الأربعة أو الخمسة الذين سيلتقونه، إلى درجة أن الجمهوريين اتهموه، دون تقديم دليل، بأنه يحصل على الأسئلة مسبقًا.

بالإضافة إلى مسألة الوصول إلى المعلومة، فقد تعرض صحافيون للرقابة في العديد من البلدان، في إجراء تم تبريره على أنه لمكافحة المعلومات المضللة المرتبطة بالوباء.

ويقول نديم الناشف مدير مركز حملة المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي، في تقرير نشرته شبكة الصحافيين الدوليين، "بالنسبة للحكومات يفترض أن يكون دورها حماية المواطنين ولكن في الواقع ما نشهده عكس ذلك تماما، حيث قامت أغلب الحكومات بأخذ الشرعية من خوف الناس على صحتهم، ومنه شرعنت اختراقات وانتهاكات لخصوصيتهم لاسيما في الدول ذات الأنظمة القمعية، حيث طرحت تطبيقات وبرامج رقابية وترصّد وتجسس، وكل ما تفعله الحكومات بهذه البرامج والتطبيقات إنما هو استغلال لأزمة كورونا من أجل فرض سيطرتها على المواطنين ومراقبتهم".

وأضاف الناشف "لم تقم شركات مواقع التواصل الاجتماعي بإجراءات حماية سوى محاربتها للأخبار الكاذبة والمضللة، وللأسف تتواطأ بعض الشركات مع الحكومات وسياساتها ولا تقوم بدورها في حماية بيانات المستخدمين وخصوصياتهم".

وألغت عدة دول تأشيرات دخول أو أمرت بترحيل مراسلين أجانب، مثل الصين أو مصر، بعد نشر مقالات تنتقد طريقة إدارة أزمة الوباء.

وتندرج هذه الصعوبات في سياق غير موات بالفعل للصحافة التي تعاني، في سائر أنحاء العالم، من انخفاض في الدخل تفاقم مع الوباء، وخصوصا على المستوى المحلي.

ورأى كويلير أن الصحافيين "لم يعد لديهم الوقت الكافي للحصول على مصادرهم والتعمق في البيانات العامة، بسبب النقص المزمن في أعدادهم".

وأوضح أنه نتيجة ذلك "يتم تقديم الكثير من المعلومات إلى الصحافيين بشكل مستهلك، من قبل جهات اتصال محترفة، دون تحقق. وهذا ليس بالأمر الجيد".

رولا خلف

أثبت نموذج أعمالنا قيمته باعتماده على عائدات الاشتراك الرقمي

وفي الرياضة أصبحت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة التي غالبًا ما تدفع ثمنًا باهظًا لقاء حقوق البث، وكانت تتمتع قبل الوباء بامتيازات مقارنة بالصحافيين الآخرين، أكثر أهمية على الرغم من أن هذه العلاقات المالية تمثل تضاربًا محتملًا في المصالح.

واعتبرت كورتني رادش من لجنة حماية الصحافيين "لقد ازدادت مناورات السياسيين وغيرهم للتحكم في الرسائل التي يودون تمريرها خلال العامين الماضيين"، مشيرة إلى أن ذلك تعزز إثر ظهور وباء كوفيد – 19.

وأصدرت لجنة حماية الصحافيين في العام 2013 تقريراً غير موات عن إدارة الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما، واستمرت الجهود للتحكم في زمام الأمور في عهد خلفه دونالد ترامب، الذي يكن عداءً للصحافة، على حد قولها.

وفي جميع المجالات، يزداد الحصول على المعلومات تعقيدًا بسبب انعدام ثقة الرأي العام المتزايد في الصحافة. ففي التظاهرات التي أعقبت مقتل جورج فلويد في الولايات المتحدة، تعرض صحافيون للهجوم من قبل الشرطة "ولكن أيضًا من قبل المتظاهرين الذين، في بعض الحالات، لا يريدون تغطية إعلامية مستقلة"، بحسب رادش.

وأعرب كويلير عن قلقه قائلا "نحن نتجه نحو فترة مظلمة إذا لم يتغير شيء"، مضيفا "قد يفضي ذلك، في غضون 20 إلى 30 عامًا، إلى نهاية الديمقراطية التي نعرفها".

وأقرت رادش بأن الوضع "محفوف بالمخاطر"، لكنها لمست "اعترافًا متزايدًا" من قبل البعض "بالدور المهم الذي لعبته الصحافة أثناء الوباء".

وقال جو ماكلين، وهو مراسل من فلوريدا حيث غطى عملية إعادة فتح المدارس خلال الوباء، قبل فترة قصيرة أمام معهد بوينتر للصحافة إن "الثقة في وسائل الإعلام المحلية تزداد قوة" موضحا "لقد أتيحت لنا الفرصة لإظهار نزاهتنا ومصداقيتنا".

منتديات الصراخ الاجتماعي فرصتنا لاستعادة التفكير

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

عندما تمارس جيوش المغردين الصراخ الدائم، ثمة فرصة رائعة لمن يثق بالتفكير كوسيلة لصناعة لائقة بالعقل، محظوظ من لا يقع تحت إغراء الصراخ ويكتفي بالتعبير عن نفسه بالكتابة خارج مواقع التواصل الاجتماعي.

بدا هذا الكلام مناسبا لعشرات الصحافيين والقراء وهم يبحثون هذا الأسبوع عن الروائية ماغي أوفاريل على مواقع التواصل الاجتماعي بعد فوزها بجائزة المرأة للرواية التي تمنح للنساء حصرا في بريطانيا منذ عام 1991.

فازت أوفاريل بالجائزة عن روايتها التاريخية "هاميت" فاندلعت جوقة الاحتفال في جميع وسائل التواصل الاجتماعي، أو على الأقل في ذلك الجزء منها الذي يسكنه العالم الأدبي. فالكاتبة سيدة على درجة من الكياسة ومسؤولة جدا عن كل ما قالته من قبل، لكن لماذا غائبة عن هذا الاحتفال الاجتماعي بها!

الجميع تساءل مغردا ومعلقا على تويتر وفيسبوك: أين ماغي أوفاريل؟ فلم تردّ!

ببساطة لأن هذه الروائية لم يكن لديها أي حساب على مواقع التواصل الاجتماعي، فهي ترفض مشاركة "جيوش من الحمقى" وفق وصف الروائي الإيطالي الراحل أمبرتو إيكو، على مواقع التواصل، ولديها الثقة بعملها الروائي للتحدث عن نفسه.

لا تمتلك ماغي أوفاريل أي حساب على مواقع التواصل الاجتماعي، لذلك لم تشارك بجوقة الاحتفال بفوزها، ولم يكن عدم المشاركة خسارة أبدا وفق قناعتها، لأنها ربحت التفكير بينما يستمر الآخرون في الصراخ.

تتساءل الصحافية ستيفاني ميريت: ماذا يكسب الكتّاب ويخسرونه عندما يتجنبون وسائل التواصل الاجتماعي؟ ربما تأتيها إجابة حاسمة من الروائي باولو كويلو الذي يمتلك حسابات في تويتر بعدة لغات بينها العربية ويتابعه أكثر من 15 مليون مستخدم، كما يمكن أن نستعيد مثال الكاتب الأميركي بريت إيستون إيليس مثلا، الذي أنفق في السنوات الأخيرة في سياق أحاديثه مع نصف مليون من متابعيه في تويتر، وقتا فاق بكثير الوقت الذي خصصه لكتابه القادم.

لكن نصيحة الروائي الأميركي جوناثان فرانزين للجيل المعاصر من الكتاب مفيدة أيضا، عندما طالبهم بعدم إضاعة وقتهم في المزيد من التغريدات، لأن الكتابة ليست مؤسسة طائفية جماعية كي تجمع حولها الآخرين، بقدر ما هي جهد خيالي شخصي. معترفا بأنه يستخدم التكنولوجيا في الكتابة من دون أن يسمح لها بإرغامه على إدمانها، لأنها بالنسبة إليه لا تملك الكثير لتفعله حيال تطوير حسّه الإبداعي.

بالنسبة إلى العديد من المؤلفين، سيكون للفوز بجائزة ما عرضٌ موازٍ على مواقع التواصل الاجتماعي للاشتراك في تسونامي التغريدات والتعليقات، لكن صمت ماغي أوفاريل كان لافتا للانتباه أيضا، لأنها كما يبدو قالت في صمتها أكثر بكثير من التعليقات المنتظرة التي كان يترقبها المحتفلون والناقمون، مع أنه ينظر إلى مشاركتها الفعلية كنوع من الترويج لروايتها كي تصل إلى جمهور أوسع.

غالبية دور النشر لا ترحب بعدم وجود الكتاب على مواقع التواصل، وترى أنه رفضٌ ملتو ومتعمد يصعب الاستمرار فيه. ولطالما كان هناك حفل توقيع افتراضي، حيث أن المؤلفين سيوفرون جهدا إعلانيا على الناشرين ويساعدونهم في تسويق الكتاب.

لكن عدم مشاركة المؤلفين في تلك الحفلة الافتراضية نوع من الثقة بقدرة الكتاب على استقطاب القراء من دون حاجة المؤلف إلى تذكير الجمهور.

عندما يتعلق الأمر بما يسمى "بناء العلامة التجارية الشخصية" يبدو من الأفضل للكتّاب ترك نصوصهم أن تفعل ذلك، فليس من مصلحة الكتابة أن يقدم متنها نفسه بطريقة مثلما تفعل صورة عارضة جميلة في حسابها.

اعتبار ماغي أوفاريل رابحة بفوزها بجائزة المرأة للرواية ورابحة بعدم تواجدها على فيسبوك وتوتير، يعود إلى أنها تسمع تفكيرها غير مبالية بحفلة الصراخ الضخمة التي تحيط بعالمها الروائي على مواقع التواصل.

لا أعتقد أن هذه الروائية معزولة عن العالم الرقمي، وأتوقع أنها تستخدم التكنولوجيا في إنتاج نصها الأدبي، ومن يدري ربما لديها حسابات على مواقع التواصل للمراقبة أو على الأقل لمعرفة ما يجري، من يدري! لكن الأهم من ذلك أنها غير معنية بالضجيج الرقمي. ولا ترى فيه تعبيرا عمّا تتوق إليه.

ليست ماغي أوفاريل وحدها من تعتقد بضرر مواقع التواصل الاجتماعي على الكاتب، هناك عدد غير قليل من الكتاب الذين يحظون بشهرة واسعة وباحترام القراء لا توجد لهم حسابات شخصية على مواقع التواصل، وما يوجد هي حسابات تدار من قبل ناشري كتبهم أو جهات ثقافية مهتمة بأعمالهم، مثل الكاتب البريطاني جون أوفاريل الذي حققت رواياته أعلى المبيعات، زادي سميت الروائية البريطانية من أصول جامايكية التي سبق وأن فازت بجائزة المرأة للرواية، هيلاري مانتل الروائية الوحيدة التي فازت بجائزة بوكر مرتين عن روايتها الملحمية "صالة الذئب"، الكاتبة الأسكتلندية آلي سميث، والأميركية من أصول أيرلندية تانا فرينج التي حظيت روايتها باهتمام بالغ من القراء والصحافة وحصلت على أكثر من جائزة، ثم الروائية والناقدة البريطانية أوليفيا لينغ التي تحظى كتاباتها في صحيفة الغارديان باهتمام بالغ.

هؤلاء كتاب يتميزون بإنتاج نصوص غامرة، ومدروسة بعمق، نتجت عن تفكير وقراءة واسعة، وتمثل نقيضا لوسائل التواصل الاجتماعي. والأهم أنهم جميعا من جيل منتصف العمر وما فوق، وهذا يعني أنهم عاشوا الثورة الرقمية في أوج حيويتهم، ومع ذلك فضلوا تأسيس حياتهم الإبداعية بالطريقة التقليدية التي تفضل النشر والمراجعات النقدية ومعارض الكتب. بينما يعتمد كتاب أجيال الألفية الجديدة على مواقع التواصل للحصول على موضع حضور في عالم الإبداع.

> اعتبار ماغي أوفاريل رابحة بفوزها بجائزة المرأة للرواية ورابحة بعدم تواجدها على فيسبوك وتوتير، يعود إلى أنها تنصت إلى تفكيرها غير مبالية بحفلة الصراخ الضخمة على مواقع التواصل

في النهاية لا يمكن أن يصل المؤلفون إلى درجة الهلع من مواقع التواصل بوصفها عاملا ضارا بشكل دائم بالإبداع، كذلك تقول ستيفاني ميريت، فهي مثلا طلبت كتبا كثيرة بناء على تغريدة من شخص تثق بذائقته الأدبية، وهناك من استطاع أن يعتمد على سخاء المستخدمين العاديين في الترويج لكتبه قبل أن تضيع من دون معارض وحفلات توقيع.

مع ذلك أصبح الكتّاب الذين يتخلون عن وسائل التواصل الاجتماعي أمرا مألوفا إلى درجة أنه أنتج نوعا خاصا من المحاكاة الساخرة، مثلما كتبت زادي سميث ذات مرة، إنها تتجنب وسائل التواصل الاجتماعي لأنها تريد الاحتفاظ بـ"الحق في أن تكون مخطئة".

الأهم في كل تلك القصة أن الروائي ويليام ساتكليف زوج الروائية ماغي أوفاريل، كرّم زوجته في اليوم التالي من فوزها بتغريدة عن الإلهام الذي ساعدها على الفوز عندما أعطت نفس القدر من الطاقة لحياتها كما تفعل في الساعات التي تقضيها في الكتابة، ومثل هذا الإلهام لا تمنحه وسائل التواصل بالتأكيد.